الفصل الثاني

" حب بريء "

بين الصراع الذي يدور في رأس ماسة وبين ضجيج يحاول أن يسيطر عليها لتوقظها الفراشات صباحاً وهي تقرر أن تترك مدرستها وتبقى بقرب والدتها وأن تهتم بكاميليا ووالدها وتتعلم أمور المنزل جيداً.

- صباح الخير يا أمي اليوم أنا لن أذهب إلى مدرستي سأبقى في المنزل وأتعلم الطبخ جيداً وسأهتم بكِ.

الأم منزعجة من داخلها تريد أن تبوح وتلوح بوجهها ب لا لا وعيناها غاضبتان ولكن ماسة لم تكترث لما أغضب والدتها وكانت مصرة على قرارها وقالت لها:

- لا تغضبي يا أمي لا أريد أن أدرس سأكمل دراستي من دون قيود وأقدم أوراقي لمعهد التمريض لأتعلم كيف أهتم بكِ أكثر لا تنفعلي ابقي هادئة فقط أريدك أن تتعافي وتتحدثين مثل قبل،

أنا قررت ولن أتراجع عن قراري مهما حصل وبعد يومين سأذهب إلى المعهد وأتعلم التمريض وعندما تتعافين سأعود وأكمل الدراسة وعد عليّ أن أكملها ولكن أنتِ الأهم لديّ فأرجوكِ اهدئي أنتِ أمي وابنتي وصديقتي أنتِ أمل أعيش لأجله أحبك.

الأم تذرف دموع من عيناها لأنها السبب بضياع مستقبل ابنتها وسعيدة لأن ماسة بقربها ترويها حنان ودفء ودافع كبير بالشفاء.

دخل الغرفة الأب وهو يشاهد زوجته تبكي وتبتسم وقال:

- صباحكم سعيد كيف حالكم ماذا حصل ماسة لأمك هل تتألم من شيء....؟
- هي فقط شعرت ببعض الألم وأنا بقربها سيذهب ما يؤلمها بإذن الله.
- هل أتصل بالطبيب؟
- لا داعي يا والدي سأهتم بها أنا.

- أليس لديكِ مدرسة الآن.
- اليوم عطلة لأن المدرسة متعبة وأنا لا أريد الذهاب لحضور باقي الحصص سأدرس لوحدي في المنزل.
- ولكن هذا خطأ يا ماسة دروسك مهمة لا تتكاسلي اذهبي.
- لا أريد سأقدم أوراقي لمعهد التمريض المتوسط لا أريد المدرسة بعد اليوم.
- إذاً أنتِ تكذبين يا ماسة ألم يكن حلمك أن تصبحي طبيبة....؟
- نعم ولكن حلمي بأن تكون أمي بصحة جيدة أجمل وأهم، سأعود للدراسة بعد أن تتعافى لا أريد أن أتركها وأنشغل عنها.
- أنا أرفض ما تقولين لن تتركين المدرسة هيا اذهبي وبدلي ثيابك للذهاب.
- وأنا لن أدرس وسأتعمد الرسوب لا أريد الدراسة الآن.

- يا لكِ من فتاة عنيدة أنا ذاهب إلى عملي وعندما أعود سنتحدث اهتمي بأمك جيداً أنا ذاهب لن أغيب عنك طويلاً يا زوجتي العزيزة.

بعد أن اطمئن على زوجته في الصباح الباكر وتبسمت له زوجته التي يحبها كثيراً ذهب السيد عبد الكريم لعمله وهو يفكر بماسة التي تريد أن تحطم مستقبلها وهو في حيرة ماذا يفعل....؟

يامن الذي يبلغ سن الخامسة والعشرون يعمل ولكنه شاب محب لنفسه فقط لا يهمه أحد يريد كل شيء له يحب المال كثيراً بخيل لدرجة كبيرة جشع ومتسلط فوضوي يغضب بسرعة لأي سبب لا يستعمل أسلوب الصراخ والضرب لتخويف من حوله منه إن كان على حق أم على باطل ولكن مع الغريب هادئ ومهذب وهذا يدل على النقص المتواجد في شخصيته الضعيفة المهزوزة في الداخل وذات يوم أتى من عمله ليأكل.....!

- ألم يأتِ والدي إلى الغداء....؟

- لا هو مشغول اليوم سيأكل في العمل.
- وماذا طبختِ لنا اليوم....؟
- فاصولياء ورز ولكني متعبة من أعمال المنزل وأكلت من قليل أنا وأمي إن كنت تريد أن تأكل ادخل المطبخ وأعد الطعام لنفسك....!
- مممممم ولما أنا رجل ولا أدخل المطبخ....! هيا أعدي لي الطعام وبسرعة.
- قلت لك أنا متعبة ألم تسمع ماذا قلت....؟
- لا لم أسمع.....!
- لن أعد لك الطعام فلتضعه بنفسك
- أنتِ تردين عليّ بصوت عالٍ أيضاً
- أنا صوتي منخفض ولكنك أنت من تريد إجباري على إحضار الطعام لك ولا تكذب.

فهجم عليها وقام بضربها ضرباً مبرحاً على رأسها وظهرها والأم تسمع من غرفتها صراخ ماسة وتبكي ولكنها لا تستطيع أن تنهض لتنقذها.

بعد ضربه لماسة خرج من المنزل بسرعة وماسة اتصلت بوالدها وأخبرته بما حصل فترك السيد عبد الكريم عمله وتوجه إلى منزله.

دخل إلى منزله مسرعاً واحتضن ماسة وجدها جالسة في غرفتها وهي تتألم من ضرب يامن وتبكي بصوت منخفض لكي لا تسمعها والدتها وتتأثر لحالها.

- أين هو يامن سحقاً لهذا الولد ألم يتعلم بعد رغم قسوتي عليه.....؟
- بعد ضربه لي رحل.
- وما سبب ضربه لكِ هكذا....؟

- لأني رفضت أن أضع له الطعام لأني متعبة من أعمال البيت والاهتمام بأمي
- لا بأس أنا سألقنه درساً لن ينساه ارتاحي أنتِ لأذهب إلى أمك.

دخل إلى زوجته وجدها مغمى عليها فأخبر كاميليا وطلب منها أن تتصل بالإسعاف فوراً لنقلها إلى المشفى.

أما يامن مع أصدقائه يلعبون الورق ولا علم له بأنه تسبب بتعب لأمه التي سمعت كل شيء وعند نقلها إلى المشفى قال لهم الطبيب إنها منزعجة من شيء وارتفع الضغط عندها وأنه طلب منهم الراحة النفسية والهدوء وأن لا يتسبب لها أحد بشيء من الزعل فبقيت هناك يومان وبعدها عادت مع ماسة ووالدها إلى منزلها فدخل السيد عبد الكريم ووجد يامن مستلقي على كنب غرفة الجلوس يشاهد التلفزيون وكأنه لم يحصل شيء فحدثه وقال له:

- يا ولد قف وتحدث معي
- ماذا تريد مني...؟
- والدتك في المشفى لم أشاهدك هناك.
- لم أعلم.
- كاذب ولماذا ضربت ماسة أنت لا يحق لك أن تضربها.
- ابنتك قليلة الأدب وعليّ أن أعلمها الأدب حتى لو بالضرب.
- اصمت " وصفعه على وجهه صفعة قوية "
- فصمت يامن وخرج من المنزل والغضب يشتعل بعقله وسخطه على ماسة لأنها السبب بما حصل.

ماسة شاهدت ما حصل وحزنت لأجله لأنها سامحته فهي تحب شقيقها ولكن والدها يريد أن يعلمه ويفهمه أن لا يضرب ابنته مرة أخرى.

دخلت ماسة غرفة والدتها واستلقت بقربها واحتضنتها ووضعت يدها على شعرها وغفت بقربها وهي تحلم بحلمها الذي طالما شاهدته في يقظتها.

ماسة تحلم بأن تصبح طبيبة مشهورة لها عيادتها الخاصة وأن تعالج المرضى بحب وتفاني وإتقان وأنها تقوم بعمليات جراحية ناجحة وتساند الفقراء في أوجاعهم وأن تمارس هوايتها بعزف البيانو وأن والدتها سعيدة بما وصلت له والدها يتفاخر بابنته وشقيقها سند لها وأن الدنيا مليئة بالأزهار الملونة تغمر حياتها مع أسرتها ولكن حلمها دائماً ينتهي عندما تستيقظ لتواجه واقعاً مريراً تلتمس منه حقيقة صعبة وآمال بعيدة عن طموحاتها التي ترسمه في مخيلتها التي تذهب بها إلى المستقبل الواعد الجميل.

وبعد مرور شهر من الزمن عاد السيد عبد الكريم مكسور الروح ومنهار كلياً متعب وعيناه يائستان فجمع ماسة ويامن وكاميليا ليخبرهم ما حصل معه في عمله وقال لهم:

- جمعتكم لأقول لكم حقيقة ما حصل معي في عملي وللأسف.

" ينظر لأولاده وهو متردد "(وقهقه في صوته وعقد حاجبيه)

- يا أولاد شريكي أخذ المال وهرب خارج البلد والدولة تطالبني بضرائب فوق رأس المال الذي معي لأن شريكي لم يكن يدفع كما كان يقول وسأضطر لبيع الدكاكين لتسديد الضرائب وانتظار شريكي لنتحاسب.
- ولكن يا أبي يمكنك أن ترفع عليه دعوى قضائية بتهمة النصب والاحتيال وأخذ مالك والهروب به.
- نعم ولكن هكذا قضايا ستأخذ وقتاً طويلاً ومصاريف كثيرة أنا لم أكتشف الأمر إلا بعد فوات الأوان.
- لا تزعج نفسك نحن سنعمل ويامن سيدفع معك مصاريف الضرائب.

- ولكن يا ماسة المبلغ كبير جداً أنا أعلنت إفلاسي والتجار لم يساندني أحد منهم وكأنهم ينتظرون سقوطي في البئر.
- أنا سأعمل ممرضة في المشفى لا تقلق وعلينا أن نتعاون جميعاً.
- لا يا بنيتي ومن سيبقى بقرب والدتك المريضة.
- سأبقى بقربها وأعمل أيضاً لا تبالي فأنا أستطيع أن أقوم بكل شيء
- لا، يامن وأنا نعمل فقط وأنتِ ابقي كما أنتِ واهتمي بكاميليا وأمك فقط
- كما تريد يا والدي.

يامن لم يعجبه ما حصل لأنه أناني جداً ولا يريد صرف ماله على أحد وبدت على وجهه علامات الامتعاض من حديث والده ولكنه صمت وخرج من المنزل.

ماسة كما كل يوم تذهب لغرفة والدتها وتحضنها وتستحضر حلمها الرائع الذي يشعرها بتفاؤل والأمان وهي بقرب أمها الملائكية.

قررت ماسة أن تذهب في الصباح الباكر لتقدم طلب توظيفها في المشفى القريبة من منزلها، ستعمل لتعين والدها في المصروف وتم قبولها، عادت إلى بيتها سعيدة وأخبرت والدها وشقيقها ووالدتها ولكن والدها رفض الموضوع وطلب منها بأن لا تعمل وأنه سيعمل ببيع الخضراوات والفواكه مع صديق قديم له يعمل في هذا المجال مؤقتاً لحين عودة شريكه وقرار المحكمة ولكنها أصرت على العمل وأنها لن تقصر بواجباتها نحو والدتها والمنزل وأن وقت عملها مسائياً عندما يأتي هو للمنزل ليبقى مع أمها ألحت عليه كثيراً فوافق وهنا بدأت قصة غريبة مع ماسة داخل هذه المشفى التي ستعرفها على من سيجعل حياتها مآسي وظلم وضياع للغوص في معركة قوية وشرسة ضد ظروف وضعتها في

سراب يقودها إلى نهر الجاف وداومت ماسة في عملها المسائي وكانت سعيدة جداً بما تقوم به من رعاية المرضى بعطف وحنان وأمانة تامة وخاصة عندما تتحسن حالة المريض الذي تهتم به وفي ذات يوم من الأيام دخل الإسعاف رجل في حالة كسر في قدمه اليمنى وكانت ماسة هي من ستقوم بالاهتمام به وهو محامي واسمه باسم وقد أبدى اعجابه بماسة كثيراً وكانت ماسة سعيدة بلباقته ولطفه معها وبشاشته التي كانت تظهر على وجهه عندما تأتي إليه لرعايته وعندما خرج من المشفى ترك لها رقم هاتفه النقال وطلب منها أن تحدثه وإن كانت تريد أي مساعدة فهو يريد أن يتعرف عليها أكثر فترددت ماسة بأخذ رقمه ولكنه أصر عليها وأخذته وفي داخلها فضول كبير ماذا يريد منها....؟

وبعد أن نضجت ماسة أصبحت جميلة جداً والجميع يحبها لروحها المرحة والطفولية وبراءتها وطيبتها أصبحت العيون من الرجال عليها كثيرة يحاولون أن يتقربوا منها ولكنها دائماً كانت

تتذكر كلام شقيقتها الكبيرة هديل التي أوصتها به قبل أن تسافر فتعود بها ذاكرتها لما قالته هديل.

- يا ماسة أنا سأسافر مع زوجي لمكان بعيد ولست هنا بقربك دائماً ورغم المسافات الطويلة ولكن قلبي وعقلي معكم وخاصة أنتِ لأنكِ لستِ أختِ الصغيرة ولكنك ابنتي التي ربيتها وواجب عليّ أن أحذركِ من البشر أصبحتِ كبيرة في سن الواحدة والعشرون ولكنكِ لم تخوضي تجارب بعد وعودك ضعيف، الناس ليست كما تظنين يا جميلتي فيها الشرير والطيب والحاقد والكاذب والصادق، فيها المخادع والمحتال في كلامه وفيها النقي أيضاً وخاصة الرجال وشبان المراهقة انتبهي منهم واحذري لا تتحدثي مع أحد منهم ولا تنجذبي لعلاقة مع أحدهم سيستعملون أساليب كثيرة للفت انتباهكِ لتقعين في هواهم وأغلبهم يلعبون فقط لأخذ غاياتهم من الفتيات ويتركونها بعد أن يحطمون قلوبهم هناك من لا يرضى على نفسه

أن يتاجر بمشاعر أحد ولكنهم قلة قليلة يا حسنائي الساحرة والحب بعمر العشرين ليس بكامل في الروح لأنكِ لم تجتازين مراحل الأنوثة الكاملة هل كلامي واضح يا ماسة....؟

- نعم يا هديل فهمت لا تتركيني أنا أكره زوجك لأنه يريد أن يأخذك مني بعد أن تعلقت روحي بكِ من سيكون معي....؟
- لا تقلقي سأتصل بكِ دائماً ولن تغيبي عن بالي لحظة فأنتِ نور العيون الفؤاد أريد منكِ أن تهتمي بنفسكِ جيداً وأمنا لا تهمليها فرضاها عليكِ باب سيفتح لحياتك السعادة الدائمة.
- أكيد يا هديل أكيد وعد مني لكِ.

وضمتها على صدرها وماسة تبكي بحرقة لفراق هديل لها وكانت تستمد منها احساس جميل يعوضها عما فقدته من رأفة والدتها المريضة.

مر شهر على خروج باسم من المشفى وماسة لم تتصل به ولم تغيب عن باله لحظة يريدها أن تحادثه فقرر أن يذهب إلى المشفى لرؤيتها وتحدث معها.

انتهى من عمله في القصر العدلي واتجه نحو المشفى ودخل إلى الاستعلامات وسأل عن ماسة فقالت له السكرتيرة أن عملها يبدأ الساعة الخامسة وينتهي عند الساعة العاشرة ليلاً.

قال لها: سأعود لاحقاً.

عاد باسم الساعة الخامسة والنصف وسأل عنها وأتت ماسة إليه لغرفة الاستعلامات فكانت مصدومة عندما شاهدته لم تتوقع أن يأتي لأجلها والسؤال عنها لأنها نسيته ولم تفكر به.

- مرحبا يا ماسة كيف حالك.....؟
- أهلاً وسهلاً الحمد لله أنا بخير وأنت....؟ ماذا تفعل هنا...؟

رد عليها وهو مرتبك كثيراً.

- أنا أنا بخير وصحتي جيدة.

- إذاً لم أتيت إلى هنا....؟
- لكي أطمئن عليكِ أنا معجب بكِ ماسة .... لما لم تتصلي بي.....؟
- شكراً جزيلاً لك ولكن رقم هاتفك ضاع مني ولا يوجد سبب للاتصال بك.
- سأعطيكِ الرقم مرة ثانية وأريد أنا رقمكِ إن أردتي.

احمر وجه ماسة من الخجل وصمتت قليلاً وهي تنظر يميناً ويساراً مرتبكة جداً ولم تشعر بنفسها إلا وأعطته رقمها وأخذت منه رقمه ورحل من أمامها وهي صامتة.

- سأتصل بكِ أنا عندما تنتهي من عملكِ مع السلامة.

خرج مسرعاً وهو سعيد جداً وهي ردت عليه بصوت منخفض جداً والصدمة والخجل يبدوان على وجهها.

- مع السلامة مع السلامة.
- ماسة ماسة أنا أكلمكِ ما بكِ ألا تسمعيني.

- نعم ماذا قلتِ لي ولم أسمع...؟
- قلت لكِ لما أنتِ واقفة هكذا هيا اذهبي إلى عملكِ وأنتِ لم تسمعي شيء
- أعتذر منكِ سأذهب عاجلاً.

ذهبت لعملها وهي تبتسم وتضحك بداخلها أنها لم تسمع السكرتيرة وهي تحدثها وكان قلبها ينبض بقوة شديدة وشعرت و كأنها عصفور يطير في السماء والعالم جميل ومبتهج واعتلت طوال اليوم فرحتها على ملامحها البريئة وزادت جمالاً ورونقاً وكانت تنتظر انتهاء عملها بفارغ الصبر لكي تتحدث مع باسم.

أتى وقت ذهابها إلى المنزل وعندما خرجت من المشفى رن هاتفها النقال فدق قلبها وكانت مترددة هل ترد عليه أم لا فردت بعد أن رن هاتفها كثيراً وتحدثت إليه ونشأت علاقة وطيدة بينهم هو يخبرها عن نفسه وهي تخبره عن حياتها فكانت ماسة أول اهتماماته فكان لا ينام حتى يسمع صوتها الرقيق ويستيقظ على

كلماتها الرهيفة كانا يعيشان ألحان من الحب الذي رفع روحهما إلى السماء لتبني به ماسة منزلاً لها وله وتحلم بأسرة صغيرة معه يتبادلان به الثقة والود والاحترام على مرافئ حياتهم الجديدة يشتعل فيها ضياء شمعة وتشرب من نهر الغرام الذي يتدفق في قلبه دفء وحنان وأمان وقعت ماسة في عشقه وذابت روحها بكلماته وتعلق كيانها بأسواره لمست به ومنه الطمأنينة التي تبحث عنها بجوف أسرتها كتبت اسمه على جدرانها فأصبح لها هو الحياة والنور والصفاء.

- صباحك سكر يا مدللتي.
- صباحك سعيد باسم.
- كيف حالكِ اليوم..؟
- الحمد لله أنا بخير.
- اشتقت لكِ كثيراً.

اعتلت شفتها ابتسامة انزلقت منها خجل وتنهيدة مليئة بالفرح.

- لم أنتِ صامتة...؟ أسمع صوت ابتسامة وأنفاس قوية.
- لا شيء أنا سعيدة بسماع صوتك فقط ووو
- ماذا ألم تشتاقين لي....؟ ما رأيك أن نلتقي اليوم قبل ذهابك إلى العمل...؟
- ولكن مممم.
- لا ترددي موعدنا بالساعة الرابعة عند حديقة الزهور القريبة من عملكِ اتفقنا...
- نعم اتفقنا مع السلامة.
- مع السلامة.
- انتظري.
- ماذا...؟
- انتبهي إلى نفسكِ كثيراً .... أحبك..
- تبتسم وتقول (حاضر مع السلامة)

وعندما حان وقت الموعد في الحديقة التقيا والجو كان بارداً والأوراق الصفراء تتساقط على الأرض من الأشجار التي تودع الأيام الباردة فجلسا على كرسي بقرب بعضهم وماسة خجولة وتلفتت برأسها يميناً وشمالاً تترقب المارين فأمسك يدها باسم وقال لها بكل حب :

- لما هذا الخجل يا ماسة...؟

تتلعثم وتقول

- أنت أول رجل أعرفه وأنا لا أعلم ماذا أقول لك في داخلي مشاعر كثيرة تريد أن تبوح لك عن احساسي المفعم بالغرام ولكنها خجولة ومتوترة فاعذرني لأنني لأنني.....؟
- ماذا قولي...؟
- سأحاول أن أتخلص من خجلي رويداً رويداً.

يبتسم ويقول لها:

- أريد أن تقولي أحبك فقط هذه تكفي يا ماسة لنا ثمانية شهور مع بعضنا ولم أسمعها بل شاهدتها بنظراتك وشعرت بها من خجلك وسمعتها من ابتسامتك.
- أنا أحبك يا باسم.
- وماذا تحبين فيني يا ماسة تكلمي...
- أحب فيك اهتمامك بي ولطفك وكلامك تعطيني أمل ودافع كبير كل ما سمعت صوتك.

يبتسم وتعتلي ملامحه اشراقة سرور كبيرة ويقول لها:

- وأنا أعشق فيكِ كل شيء.

تصمت وتخجل مجدداً وتتلون وجنتاها باللون الأحمر وترتبك فيضحك هو ويقول :

- عدنا للخجل يا ماسة هيا لنمشي قليلاً ونتحدث.
- فمرت الساعة وهما يتبادلان الكلام بين غزل وبين حوارات عما يحصل معها في المشفى وعن حياتهما معاً عندما يتقدم لخطبتها

قريباً وأوصلها إلى مدخل المشفى ورحل في هذا اليوم، ماسة شعرت بوصاله لتنفجر أمنية معلقة في دروب حياتها أن تتزوج من الرجل التي أحبت وتعيش لآخر يوم في عمرها معه.....

مضى الشتاء بكل تفاصيله وسحب معه الرياح العاتية وتنتهي قصة رائعة ولتبدأ أوجاع النهاية.